٢ د س

كيفَ تعامِل خدمكَ وتحذر منهمُ؟

أم عبد الله بنت خالد

دار الراية

جميع الحقوق محفوظة لدار الراية

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

فسح وزارة الإعلام برقم ٤٩٨٧/م وتاريخ ١٤١٢/٧/١٤هـ

دار الراية
للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٩٩ ص.ب ٤٠١٢٤ - هاتف ٤٩١١٩٨٥
جدة - حي الجامعة - شارع باخشب - هاتف ٦٨٨٥٧٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة :

إن الحمـد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ـ وصلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد:ـ

فظاهرة الخدم في هذا الوقت. وفي هذا العصر أصبحت ظاهرة خطيرة، فهي مما عمت به البلوى، وطمت أرجاء البلاد، وأصبحت أمراً مستساغاً عند الكثير، لكن من باب التفاؤل نرجو أن يكون الحد منها مقبولاً، والتخفيف وارداً، وذلك إذا تضافرت الجهود، ونُشر الوعي بين الناس وأخلصت النيات.

فمن أجل ذلك وجدت من الجدير البحث في هذا الأمر خاصة مع الجهل في كيفية معاملة أولئك الخدم، وتقصيرنا في البحث عن هدي النبوة في معاملتهم من دعوة وإرشاد، ومعاملة بالحسنى، فغالب الناس ـ إلا من رحم ربي ـ قد ابتعدوا عن هذا النهج النبوي وغلب عليهم الهوى والتقليد ـ والله المستعان ـ.

ولكي أفيد نفسي وغيري رأيت أن أبدأ هذا البحث بحديث من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ واخترت حديث أنس ليكون الإنطلاق منه لأبين منهج النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في معاملة الخدم.

وإني أسأل الله العلي العظيم أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يتقبله منا، على تقصير منا فيه، وهذا طبع البشر الذي

يعتريه النقصان. فلا غرابة إن وجد التقصير، ولكني أسأله سبحانه أن لا يكون تقصيراً مخلاً بالبحث . . آمين، إنه سميع مجيب. وفي نهاية هذه المقدمة أتوجه بالشكر إلى كل من:

(١) الشيخ د. فالح الصَّغير ـ عميد كلية أصول الدين بالرياض.

(٢) الشيخ عدنان العرعور.

على ما قدموه لي من مساعدة وتوجيهات فبارك الله فيهم جميعاً وثبتهم على دينه ـ آمين.

وإلى أختي: أم مصعب، وأم عبد الله ـ بنت محمد ـ أهدى هذا البحث وإلى كل من أفادني وساعدني في تقديمه سواء في المنهج أم في التوجيهات العامة والوصايا التي سرت عليها فبارك الله في الجميع.

أم عبد الله بنت خالد
الرياض: ١١٥٢٥
ص.ب: ٥٩٤٢٦

من أحاديث الحبيب المصطفى
صلى الله عليه وآله وسلم

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خُلُقاً. فأرسلني يوماً لحاجة. فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم ـ فخرجت حتى أمُرَّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي: من ورائي. قال فنظرت إليه وهو يضحك فقال: يا أنس أذهبت حيثُ أمرتك؟ قال قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله!.

قال أنس «والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صَنعته لم فعلت كذا أو كذا، أو لشيء تركته. هلاّ فعلت كذا أو كذا».

رواه مسلم (٢٣١٠/٢٣٠٩)

قال أنس «خدمت النبي ـ صلى الله عليه

وسلم ـ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ، ولا لِمَ صنعت؟ ولا ألّا صنعت».

رواه البخاري

موضوع هذه الأحاديث:
بيان حسن خلق النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكيفية معاملته لخدمه.

تحرير ألفاظ الحديث وشرحها

ألفاظ الحديث واضحة، وإن احتيج إلى توضيح بعضها فهي كما يلي:

«خدمت النبي صلى الله عليه وسلم»
الخادم: واحد الخدم، ويقع على الذكر والأنثى لإجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال كحائض وعاتق.

«عشر سنين»

لا شك أنها مدة طويلة جداً . . يصعب على المرء العادي أن يتصور سيداً لم يَلُمْ خادمه على فعل قط ولم يقل له «أف» . . هذا أمر لا يكاد يصدق لولا أنه من نبينا الصادق المصدوق عليه صلوات الله ورحمته إلى يوم يبعثون.

فأين نحـن من هذا الخلق الـرفيع والأدب العظيم. وهل صحيح أننا نتأسى به صلى الله عليه وسلم.

«فما قال لي : أف»

قال ابن الأثير في النهاية : (معناها : الإستقزاز لما شمَّ، وقيل معناه : الإحتقار و الإستقلال، وهي صَوْت إذا صَوّت به الإنسان عُلم أنه متضجر متكرِّه.

«ولا لِمَ صنعت؟م ولا ألّا صنعت؟» .

قال ابن حجر[1] : (بفتح الهمزة والتشديد

(١) ابن حجر. فتح الباري ج. ١٠/٤٧٥.

بمعنى : هلا . وفي رواية مسلم من هذا الوجه «لشيء مما صنعه الخادم، وفي رواية اسحٰق بن أبي طلحة : «ما علمته قال لشيء صنعته لِمَ صنعت هذا كذا؟ ولا لشيء لَمْ أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا كذا؟» .

هكذا يكون الخلق وهكذا تكون المعاملة .

فلم يكن رسول الله لوّاماً . . بل ولا لائماً . . ولا متعنفاً ولا متسخطاً فإذا أخطأ الخادم غفر له، وإذا أساء أحسن إليه فاللوم مدعاة للشعور بعقدة الذنب . . وبخاصة إذا تكرر، والتسخط مدعاة لإحباط النفس والتعالي عليها والكبر على عباد الله . . فما منا من أحد إلا ويخطيء، وما منا من أحد إلا ويذنب .

ثم إن ترك اللوم والتسخط إنما هو ثمرة الإيمان بالقضاء والقدر . . فإذا أخطأ الخادم فكسر حاجة ما، أو أغفل أمراً ما وكان رب البيت مؤمناً بالقضاء والقدر

لم ير في اللوم والزجر وسيلة لإصلاح ما قد سبق . ولا يعني هذا ترك النصيحة والتوجيه فالنصيحة والتوجيه شيء . . واللوم والسب شيء آخر.

مسائل متعلقة بالموضوع

ـ المسألة الأولى :

هل للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خدم؟

لم يكن للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خدام دائمون متفرغون لحاجاته ولكن الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين كانوا يفرضون أنفسهم لخدمته في بعض شئونه طلباً لشرف خدمة النبي صلى الله عليه وسلم وليتعلموا منه و يستفيدوا من هديه صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ـ في زاد المعاد (١) أسماء من خدمه صلى الله عليه وسلم فقال: «منهم أنس بن مالك، وكان على حوائجه، وعبد الله بن مسعود صاحبُ نعله، وسواكه، وعُقبة بن عامر الجهني: صاحب بغلته، يقود به في الأسفار. وأسلع بن شريك: وكان صاحب راحلته وبلال بن رباح المؤذن. وسعد: مولى أبي بكر الصديق، وأبو ذر

(١) وهو كتاب: زاد المعاد في هدي خير العباد. للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف «بابن القيم الجوزية» وكتاب زاد المعاد كتاب عظيم جداً نادر في موضوعه فقد جمع مؤلفه بين سيرة رسول الله وفقهها فينبغي على المسلم اقتناؤه والإستفادة منه، لأنها لم تدع أمراً من أمور النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شأناً من شؤونه دق أو جل إلا أحصته، حتى إنك لتجدي فيها صفة قيامه، وجلوسه، ونهوضه من نومه، وهيئته في ضحكه وابتسامه، وعبادته في ليله ونهاره، وكيف كان يفعل إذا إغتسل، وإذا أكل، وكيف كان يشرب، وماذا كان يلبس، وكيف كان يتحدث إلى الناس إذا لقيهم، وما كان يحب من الألوان، وما حليته وشمائله» ا. هـ.
ملخص ما ذكره محققي زاد المعاد.

الغفاري، وأيمن بن عبيد على مطهرته وحاجته.

المسألة الثانية:

كيف عامل النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خدمه؟

وتتضح المعاملة من خلال عرض قصص بعض الخدم في عهده صلى الله عليه وآله وسلم.

الأحاديث التي وردت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم في معاملة الخدم.

(١) ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل في مسنده:

عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له قط، ولا إمرأة، ولا ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خيّر بين أمرين قط، إلا كان

أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً ، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله ـ عز وجل ـ فيكون هو ينتقم لله عز وجل[1].

ما أكمله من خلق وما أعظمه من سلوك ، رزقنا الله تعالىٰ وإياكم حسن الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أحوج الناس إلى مثل هذه الأخلاق العظيمة.

(٢) أنس وخدمته للنبي صلى الله عليه وسلم:

أقام أنس ـ رضي الله عنه ـ عشر سنين في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ـ كلها عطف وحب ورحمة وحنان. . وضّح هذا الأمر حديث أنس رضي الله عنه

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٣٢/٦ قال الألباني عن إسناد هذا الحديث ـ في الصحيحة ـ: «صحيح على شرط الشيخين».

ـ حيث قال: «فما قال لي: أفٍ قط وما قال لشيء صنعته لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته لِمَ تركته؟» إنها قمة في المعاملة الحسنة، وحلم لا يدانيه حلم، ولقد كان لهذه المعـاملة الأثـر العظيم في نفس أنس بن مالك رضى الله عنه ـ فقد ذكر ابن حجر في الإصابة (١). أنه كان آخر الصحابة موتاً بالبصرة، وقد قال لثابت البناني «هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعها تحت لساني، قال فوضعتها تحت لسانه، فدفن وهي تحت لسانه». . وما ذاك إلا لشدة حبه لمخدومه.

(٣) موقف أبي ذر رضى الله عنه.

أبـو ذر الغفـاري هو الصحابي الجليل المشهور والزاهد الورع المعروف حدث منه أن قال لخادم له: يا ابن السوداء ووصل الخبر الى المعلم فماذا كان منه؟

---

(١) الاصابة في تميز الصحابة لابن حجر ٨٤/١٠.

لنسمع أبا ذر وهو يحكي لنا قصته فيقول «كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمّه أعجمية، فنلتُ منها، فذكرني إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لي: أسابَبْتَ فلاناً؟ قلت: نعم، قال: أفنلت من أمه؟ قلت: نعم. قال «إنك امرؤ فيكَ جاهلية» قلت على حين ساعتي هذه من كِبر السنِّ؟ قال: نعم، هم إخوانكم جَعَلهمُ الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاهُ تحت يده فليطعمْهُ مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس، ولا يكلّفْه من العمل ما يَغلبه، فإن كلفهُ ما يغلبه، فليُعِنه عليه»[1].

هذه هي المعاملة التي ينبغي أن تُتبع، إنه درس نبوي عظيم، فيه معاتبة عن طريق الاستفهام، وإنما عاتبه بقوله «فيك جاهلية» مع عظم منزلته، تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك.

---

(١) صحيح البخاري ١٠/٤٦٥.

ولكن كيف أثر هذا الدرس وهذه المعاتبة في أبي ذر؟

روى أنه لما شكا ذلك الرجل[1]. إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «شتمت بلالاً وعيرته بسواد أمه؟» قال: نعم، قال: حسبت أنه بقي فيك شيء من كبر الجاهلية، فألقى أبو ذر خده على التراب، ثم قال: لا أرفع خدي حتى يطأ بلال خدي بقدمه.

وقد شوهد أبو ذر ومعه خادمه وعليه حلة وعلى غلامه حُلة، فلما سُئل عن سبب ذلك.. ذكر الحديث الذي فيه قصته مع الخادم[1]؟.

فهل بعد هذا الحث من الإحسان إلى الخدم، والرفق بهم وإطلاق الأخوة عليهم ـ إن كانوا مسلمين

(١) الرجل هذا اسمه (بلال المؤذن) وأمه هي حمامة. ذكر ذلك ابن حجر في الفتح ٤٦٨/١٠.

ـ ومعاونتهم و مشاركتهم لنا في مطعمنا وملبسنا؟ إنه الإسلام دين الرحمة والإخاء.

فموقف أبي ذر يعطينا نموذجاً رائعاً في دقة تطبيق أوامر المصطفى صلى الله عليه وسلم.

(٤) أدب نبوي ومنهج تربوي:

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه و سلم ـ قال: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه فليناوله لُقمـه أو لقمتـين أو أُكْلَة أو أكلتين فإنه وَلِي علاجهُ الأُكلة ـ بالضم ـ هي اللقمة[1].

(٥) موقفه صلى الله عليه وسلم من أبي مسعود رضي الله عنه.

روى الإمام مسلم رحمه الله ـ في صحيحه، عن أبي

---

(١) معجم الرازي ص ٢٠.

مسعود البدري قال: (كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي إعلمْ، أبا مسعود! «فلم أفهمْ الصوت من الغضب. قال: فلما دنا مني، إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول: «اعلمْ، أبا مسعود! إعلم أبا مسعود! «قال فألقيت السوط من يدي. فقال: «اعلمْ، أبا مسعود! أن الله أقدرُ عليك من هذا الغلام» قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً».

وفي رواية قال: يا رسول الله، هو حُرٌّ لوجه الله. فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار»[1].

عُتقت لأنها لُطمت:

روى مسلم في صحيحه عن معاوية بن سُويد قال «لطمت مولى لنا فهربتُ. ثم جئت قبيل الظهر

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث (١٦٥٩).

فصليت خلف أبي. فدعاه ودعاني. ثم قال امتثل منه(١) فعفا. ثم قال: كنا، بني مقرِّن، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا إلا خادمٌ واحدة، فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اعتقوها» قالوا «ليس لهم خادم غيرها». قال: «فليستخدموها. فإذا استغنوا عنها فليخلُّوا سبيلها»(٢).

وهذه القصص نموذج يسير، والا فالقصص في هذا الجانب كثيرة، وهي أكثر من من أن تحصر في هذا المقام.

ولكن لعلي أن أكون قد أبرزت الجوانب المهمة أو بعضها لكي أبين معاملة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخدمه، وكيف وجّه صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ

(١) قال النووي: امتثل منه: أي عاقبه قصاصاً وقيل: أفعل به مثل ما فعل بك.

(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث (١٦٥٨).

في معاملتهم لخدمهم. وما كتبت هذا إلا لنتبعه كما اتبعه الصحابة خير القرون - رضوان الله عليهم - فوالله لو عامل الناس خدمهم بذلك لحسن إسلام المسلمين، وأسلم الكفرة. فالله المستعان.

المسألة الثالثة

صورة إستقدام الخدم في هذا العصر، وهل هو ضرورة ملحة؟؟

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله وأدامه في طاعته - «لقد شكى إليَّ الكثير من الناس ظاهرة كثرة الخدم، وأن البعض يستخدمهم من غير ضرورة ملحة، أو حاجة ماسة، والبعض على غير دين الإسلام، ويحصل منهم فساد كبير على عقيدة المسلمين وأخلاقهم، وأمنهم إلا من شاء الله منهم» أ. هـ.

فأقـول هذه هي صورة استقـدامنـا للخدم في الغـالـب: لا ضرورة داعية إلى ذلـك عنـد كثير من الناس، ويا ليت عند هذا الحد وقفوا لكنهم أصبحوا يستقـدمون الكفرة، وأصبح استقدام الخدم في هذا العصر من صور وعـلامـات الحضـارة والـرفـاهية والتـطور، فإن بعض النساء ـ (هداهن الله) يجبرن أزواجهن على استقدام الخدم لكي تجاري غيرها من النساء. . فقط للمجاراة ولتسير مع وكب الحضارة ـ على زعمها أنها حضارة ـ وغالباً ما تأتي الخادمة بلا محرم وقد تكون سافرة غير محجبة وشابة أيضاً.

إذاً فالنتيجة، أن استقدام كثير من الخدم ليس لحاجة ملحة أو ضرورة مُلجئة، وإنما الدافع الحقيقي للإستقدام ـ إلا من رحم ربي ـ هو الرغبة في التنافس والمجاراة وحب التقليد، ويؤكـد ذلك ما ذكره بعض المشايخ جزاهم الله خيراً ـ إن الاستقدام ليس لضرورة للأمور التالية:

١ ـ أن بيوت الناس ومنازلهم اليوم أحسن حالاً من الزمن السابق ـ بل ولا نسبة ـ من حيث التصميم والنظام والنظافة وسهولة الصيانة، وتوفر الأجهزة المختلفة المعينة على ذلك والتي توفر الجهد والوقت.

٢ ـ أن ظاهرة الحاجة إلى الخدم ونحوهم لم تقتصر على المدن الكبيرة أو أسرٍ معينة لها ظروف خاصة بل تعدت ذلك إلى القرى والهجر التي لم تكتمل فيها الخدمات الضرورية وإلى أسر فقيرة محدودة العدد والدخل.

٣ ـ رغم هذا كله واعتماد أهل البيت فيما بقي من مسؤلياته على الخدم لم يظهر لهذا التفرغ أثر يذكر في عبادة ولا في دراسة ولا في إنتاج مهني محلي أو أي مشاركة بنّاءة في خدمة المجتمع من هؤلاء الذين ابتلوا بالخدم إلا نادراً.

٤ ـ بل إن هذا التفرغ سبب مشاكل عديدة وفتح أبواب شر كثيرة لا حصر لها منها:ـ

ا ـ تعوّد كثير من الناس على حياة الترف ومالها من

آثار: من كسل وخمول ودعة ولا يخفى ما لذلك من أضرار خصوصاً على الناحية الذهنية والصحية.

ب ـ حرمان الجيل الجديد من التعلم بمدرسة البيت والتدريب بميادينه المختلفة.

جـ ـ إهمال الأم لأولادها معتمدة في ذلك على الخادمة.. وبذلك انحرم الأطفال من تربية الأم وتوجيهاتها.

د ـ الإنشغال بغير المفيد أو المطالبة بغير النافع بل بالضار، ومن ذلك: تضييع الأوقات الكثيرة والثمينة في قراءة الموضوعات أو مشاهدة الأفلام الهادمة للإنسانية.

المسألة الرابعة:ـ

هـل للخادم بديـــل؟

نعم، هناك أمر أفضل من إستقدام خدم لا يُعرف حالهم من صلاح أو فساد في الدين أو في البدع التي يحملونها من بلادهم.. حتى إن الرسول ـ صلى

الله عليه وسلم ـ وفي عصره أرشد إلى هذا الأمر بدلاً من خادم.

وذلـك عندما أرشد علياً وزوجه فاطمة ـ رضي الله عنهما ـ إلى الذكر، لما سألا النبي صلى الله عليه وسلم خادماً.. فقد روى البخاري في صحيحه عن علي، أن فاطمة شكت ما تلقي في يدها من الرّحىٰ، فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسأله خادماً فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم، فقال: مكـانك، فجلس بيننا حتى وجدت بَرْد قدميه على صدري، فقـال: ألا أدلكم على ماهو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكـبرا ثلاثـاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، وأحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم. وعن شعبة عن خالد بن سيرين قال: «التسبيح أربع وثلاثون».

فياليت هذا الوعي ينشر بين الناس وبخاصة النساء.

المسألة الخامسة: ـ

شروط إستقدام الخدم ـ في حالة عدم إتباع الأفضل:ـ

قال أحدهم: الخدمة أمانة وولاية وعمل يسند إلى الخادم في بيت المخدوم، وهي أمر موكل إليه، وهو مسؤول عنه أمام ربه على النحو الذي ورد في حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

وكيف لا نحسن اختيار الخادم، وهو يطلع على ما في البيت، ويعيش كأحد أفراده، ينتقل هنا

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث (١٨٢٩).

وهناك، ويبيت مع الأفراد. فهذا أمر.

والأمر الثاني: أنه يجب على الخادمة أن تكون ملتزمة بالحجاب الشرعي، لأنها أجنبية فلا يجوز أن تتكشف.

وأن يُنتقىٰ الخادم أو الخادمة انتقاءاً واختياراً دقيقاً فلا يؤتىٰ بالكافر أو الكافرة لما في ذلك من خطر على عقيدة المسلم وعلىٰ أولاده.. وهذا أعظم أمر وأخطره.

وأيضاً أن تكون الخادمة المستقدمة كبيرة في السن فلا يؤتىٰ بها شابة يفتتن بها أو تُفتن هي، ولابد وأن تأتي مع محرم لها، وهذا أمر مهم يجب التنبه اليه، وأن يمنع اختلاطها مع الرجال سواء في البيت أو في الخارج، لأن الإختلاط يُوجد ويُنمّي نوعاً من الألفة بين رجال أهل البيت و الخادمة، مما يتسبب في وقوع محظور عظيم ألا وهو الزنا، كما في قصة «العسيف» عندما كان مسؤولاً عن خدمة امرأة، وكان يُلبي ما تحتاج إليه، فتسبب هذا الاحتكاك عن وجود

نوع من الألفة والمودة والإرتياح ـ فأدى إلى فاحشة الزنا ـ والعياذ بالله ـ .

إلى غير ذلك من الضوابط التي لا بد أن تكون في الخادمة أو الخادم، فالمجال لا يسع هنا لحصرها جميعاً في هذا الموضع، ولعلي أكون قد أشرت إلى أهمها.

* «مقارنـــة»:

بين القرون الأولى، والقرون الحديثة المتأخرة. نجد أن البشرية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته قد طبقوا منهجه وسنته في حياتهم، فعاشوا سعـداء، وعـاش من معهم ومن يتعـاملون معه في سعادة تامة. . فلا ظلم هناك، ولا جور، ولا قسوة في المعـاملة ولا جفـاء، بل كانت كل معـاملاتهم فيها خفض جنـاح للمسلمين ولين وتواضع وأدب جم، أخـذوا معينـه من معلم البشرية، وسـار الصحـابة والسلف من بعدهم على هذا المنوال قروناً.

ثم بدأ المسلمون ـ إلا من رحم ربي ـ بالخذلان

إلى ما نراه اليوم من واقـع أغلبية المسلمـين من ذل وهوان ومداهنة فإلى الله المشتكى .

ولـو بحثنا عن الأسباب التي أدت بنا إلىٰ هذا الـوضـع المتدني لوجدناه سبباً واحداً وهو البعد عن منهج الله عز وجل ومنهج معلم البشرية وحبيبنا وقدوتنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعوقبنا بالذل والهوان حتى في نظر أعداءنا بخلاف ما كنا عليه في العصور والقرون الأولىٰ، كان العدو إذا سمع كلمة «مسلم» فزع من مكانه لهيبة المسلمين آنذاك وقوتهم وتمسكهم بالدين الإسلامي قلباً وقالباً .

ونحن نقول، إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنـفسهم، فلما انتشرت الفتن في هذه العصــور كقطع الليل المظلم، كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم .

أصبــح المسلمـون المتمسكـون بالسنـة ـ وهم القلة ـ غرباء . . نعم غرباء، فطوبىٰ لهم، ولما هم عليه .

ومن ذلك الواقع السيء الذي يندى له الجبين: مسألة: «معاملة الخدم» فشتان بين عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وعصرنا نحن في معاملتهم.. فلا مجال للمقارنة بيننا وبينهم، لأن الصحابة كانوا وقّافين عند حدود الله عز وجل.

أما واقعنا المعاصر في غالب أحواله، فبعيد عن ذلك الأدب النبوي، حيث لا نجد من أولئك المخدومين ـ إلا من هداهم الله ـ إلا الضرب والاحتقار والاستهزاء والسخرية والغيبة واستعمال القسوة والغلظة والجفاء معهم، وهذه الأمور التي أذكرها يسيرة هينة وإلا فهناك من الخدم من يعاقب بأكثر من ذلك حتى يخيل لنا أنهم كأعداء يَثأر منهم، بل إن من أعدائنا من نتقرب إليه ونداهنه ـ من الكفرة ـ.

فما ذنب أولئك الخدم إلا إنهم كتب عليهم أن يأتوا للخدمة طلباً للرزق، فالله جعلهم تحت أيدينا،

والله قادر على أن يجعلنا نحن تحت أيديهم، فمن كان عنده خادم - فليحسن معاملته، وأن يتقي الله فيه، وأن لا يكلفه مالا يطيق، فإن كلفه فليعنه، وأن يتبع منهج الرسول عليه الصلاة والسلام.

* * * *

● هل لاستقدام الخدم من أخطار؟

■ أقول: بعد أن بينت منهج المسلم وموقفه الذي يجب عليه تجاه معاملة الخدم، إنه لا يمنع مع هذا أن تكون هناك أخطار جسام وأمور عظيمة من جرّاء إستقدام أولئك الخدم للمنازل، واللوم إنما يقع كله على الذين استقدموهم وأتوا بهم إلى منازلهم.

وقد تكلم علماء هذا العصر ومشايخه على خطر استقدامهم وحذروا من ذلك كثيراً.

● وجه الخطر في استقدام الخدم:

■ وأما وجه الخطر بالنسبة لاستقدام الخدم فهو

للأمور التالية :ـ

أولاً : خطرهم على العقيدة :ـ

سواء كان مسلماً أم كان كافراً، فإن من المسلمين الذين يُستقدمون من بلادهم لا يخلو إسلامهم من بدع، وبدع كثيرة فيحملونها معهم، ولا يخفى تأثيرهم بتلك البدع علينا وعلىٰ أولادنا.

أما الكافر: فمعروف خطره، فغالبهم لا يأتون إلينا إلا بهدف التنصير، ولكن العجب كل العجب ليس من هذا، إنما ممن يشترط أن يكون الخادم أو الخادمة من الكفرة، وليس من المسلمين، لِمَ. . ؟ يقولون ـ هداهم الله ـ حتى لا يُضيع الوقت في الصلاة، أو في الصيام. . سبحان الله العظيم!! هذا قول بعض المسلمين، أو ممن ينتسبون إلى الإسلام!!

فلقد أصبحت الصلاة وغيرها من شعائر الدين في نظرهم ـ مضيعة للوقت!!

هكذا أصبح تفكير البعض من المسلمين ـ

هداهم الله ـ وإن تجاوزنا هذا الأمر، فمسألة تفضيل كافر على مسلم مناقض لعقيدة: «الولاء والبراء» وهذه من أهم عقائد الإسلام.

ولقد ذكر أحد العلماء مسألة: إختيار الكافر عند الاستقدام وتفضيله على المسلم وإدخاله بلاد المسلمين ـ خاصة الجزيرة العربية. دون أمر مهم تقتضي الضرورة الشرعية استقدامه لأجله، فقال:

أمر خطير، ومنكر كبير لما يترتب على ذلك من مجالسة ومؤانسة ومؤاكلة ومشاربة واطمئنان إليه، وثقة به، وذلك يفضي إلى موالاة الكافر ومحبته، ومعلوم أن موالاته ومحبته من أعظم الكبائر، ومن أسباب التولي المحرم شرعاً. فإن الله تبارك وتعالى قد حذرنا من موالاة الكفار، ونهانا عنها، وزجرنا عنها بأساليب كثيرة ومناسبات مختلفة، وذلك كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ [١٣- الممتحنة.

وأقول: إن عقيدة الولاء والبراء. قد غفلها أو تغافلها كثير من المسلمين اليوم، وحلّت المداهنة في الغالب، محلها ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ.

والخدم من الكفرة لهم خطر أشد وأعظم، ويتمثل ذلك في أن بعضهم ما أتى: إلا لهدف ألا وهو التنصير ـ كما سبق ذكره. ويطبقون هذا على الأطفال خاصة، فأولئك الأبرياء المفطورون على التوحيد والإخلاص، ونتيجة لتفريط وإهمال الوالدين في إدخال أولئك الكفرة إلى المنازل ـ من أي ملة كانوا، فأمة الكفر واحدة وإن تعددت مذاهبهم وأديانهم وتحكّمهم بتلك اللبنة الطرية المفطورة على الإخلاص، فهم يريدون ـ أي الكفرة ـ إحلال الوثنية محل التوحيد والإخلاص، وهذا يتمثل في كرههم لأهل الحق، وفي هذا الشأن وهذا المقام قصص واقعية حدثت ولازالت تحدث وما مِنْ معتبر ومتعظ!! فإلى الله المشتكى.

* قصص واقعية يندى لها الجبين ويدمي لها القلب قبل العين، وهي:

١/ قصة «هيلة» والخادمة النصرانية «ميوري»[1]:ـ

فـ «هيلة» طفلة صغيرة تنتمي إلى أسرة مسلمة، هذه الأسرة سلمتها إلى الخادمة السيلانية النصرانية «ميوري» لتقلب عقيدتها الفطرية إلى عقيدة «التثليث»، إن هذه الأسرة خانت الأمانة وفتحت أبواب التنصير في بيتها لهذه الخادمة والذهاب بطفلتهم إلى الكنيسة.

إنه هجوم سافر بكل مافي الكلمة من معنى، فهدفهم الرئيس: هوبيئة المجتمع المسلم..

٢/ بكى لرحيل الخادمة:ـ

وفي الكتاب نفسه ذكر المؤلف ـ جزاه الله خيراً ـ قصة طفل، ظل يبكي حين رحلت عنه خادمه

(١) هيلة والخادمة النصرانية ميوري. أحمد الحصين.

الهندية أو السيرلانكية أو الفلبينية حتى أصيب بإغماء!!

٣/ مسلمة تُعلق الصليب في رقبتها :-

فتاة شوهدت، وقد علقت في رقبتها الصليب، وعندما سُئلت عن ذلك، أجابت: أنه هدية من الخادمة التي عندهم. ثم ذكر قائلاً: وفوق هذا فلا عجب أن منهن (أي من الخادمات) من لها إتصال «بالبابا».

٤/ عبد وصلّى للشمعة:

جاءت الأم من عملها مبكرة على غير العادة لتجد طفلها الصغير أمام الشمعة، فحاولت أن تكلمه مراراً فلم يجبها، وبعد إنقضاء فترة زمنية معينة أجابها. فلما سُئل عن السبب، أجاب: بأنه يصلي، كما علمته الخادمة المجوسية.

فسبحان الله!! هذا هدمٌ لـ «لا إله إلا الله».. هدم للتوحيد وإحلال الوثنية محلها.

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والأمثلة كثيرة وإن لم تُنشر في الكتب، فالواقع الذي نعيشه شاهد بها، فنحن نعرف تلك القصص من أحوالنا، وأحوال الزميلات والمعارف، ولا نستطيع حصرها لكثرتها.

* فتـــوى:

حكم جلب الكفار لإستخدامهم؟

ذكر أحد العلماء ـ جزاه الله خيراً ـ قائلاً: «إذا فُهم ما سبق فاعلم، أن ما وقع فيه كثير من الناس من جلب الكفـار لاستخـدامهم إلى جزيرة العـرب فيه معصية كبيرة صريحة واضحة بينة لحديث: «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان» وأيضاً لما يفضي إليه إستقدامهم من محبتهم وموالاتهم المنهي عنها.

وقد ذكر المحققون من أهل العلم: اموراً كثيرة يصدق على مَن تلبس بواحدٍ منها أنه قد فعل شيئاً من موالاة الكفـار فضـلاً عن اجتـماعها فيه، ومن تلك

الأمور التي ذكروها:

تقريب الكفار في الجلوس، ومشاورتهم في الأمور وإستعمالهم في أمور المسلمين، والبشاشة في وجوههم ـ دون ضرورة ـ ومصاحبتهم، ومعاشرتهم، واستئمانهم وقد خونهم الله تعالىٰ.. إلى آخر ما قاله.

ثانياً: خطرهم على الأعراض:

وهذا أمر واضح جلي، لا لبس فيه ولا غموض، فإن الخادمة والتي تأتي غالباً بلا محرم ـ وهذه مخالفة شرعية وإن تجاوزناها ـ فغالبًا ما تأتي هذه الخادمة شابة، وأحياناً جميلة، وسواء كانت جميلة أم غير جميلة، فإنها فتنة على كل حال، خاصة لما يكون هناك من احتكاك بينها وبين الرجال من أهل ذلك البيت الذي تعمل فيه، وتقع نوع من الخلوة فيقع حينئذ نوع من الارتياح والمودة والاستئناس بها، وهذا خطره عظيم، كما وقع قصة في العسيف في عصر النبي

ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فإذا كان هذا الحال في عصر أفضل القرون فما الظن بحالنا في هذا العصر!!.

*** فضائح واقعية حدثت:**

فالقصص الواقعية في هذا المجال كثيرة، ولكن على كثرتها لا تؤثر بقدر ما يؤثر أن يرى الرجل أباه مع خادمة المنزل.

١ ـ فقد روى شاب قصته لأحد المشايخ فقال له: إنه عندما استيقظ صبيحة إحدى الأيام ليصلي الفجر في المسجد شاهد أباه فجأة ـ وهو غير مصدق لما يرىٰ أمام عينيه ـ أباه ـ قدوته ومثله الأعلىٰ ـ مع الخادمة في وضع مشين.

فما أجابه الشيخ حين سمع القصة إلا بالدموع.

ـ وفتاة شاهدت أباها صبيحة إحدى أيام الإجازة
ﻉ الخادمة وقد أراد أن يهمَّ بها.

نســأل الله العــافية والســلامــة وإلى الله
شتكى، نشكي له سوء أحـوالنـا، وأحوال غالب
سلمين، فالراعي لم يعد مسؤولاً عن رعيته بل قد
لى عنها وترك زمامها لتتحكم بها الأهواء والشهوات.

ـ حادثة نشرت من سنوات وذاع صيتها :ـ
خادم من جنوب شرق آسيا إتفق هو وزميل له
ى سرقة بيت مخدومهم، فما كان منهما إلا أن جاءا في
مد الأيام، فوجدا ـ على حين غفلة من أهل المنزل
رب الأسرة يقرأ في الصحيفة فهجما عليه وقتلاه
انت ربة الأسرة في المطبخ تعدّ الطعام فدخلا عليها
جـما عليهـا فارتمت على الأرض مغمىً عليهـا،
ندئذ قاما بالإعتداء عليها وسرقة ما استطاعوا سرقته
هربا، فما كان مصير الأسرة إلا أن الأم أصبحت
حالة خطيرة في المستشفى، ورب الأسرة قتيلاً.

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٤ ـ إمرأة عادت من عملها مبكرة لتفاجأ بزوجها إنه عاد مبكراً أيضاً، ولكن المفاجأة الكبرى لم تكن هذه، بل في أنها وجدته مع الخادمة في وضع مشين.

٥ ـ خادمة نشيطة.. نظيفة، كسبت مودة أهل البيت ومحبتهم حتى البنت المراهقة في الأسرة، ومن ثم استغلت الخادمة هذه الثقة فأتت الخادمة ـ عن طريق زوجها السائق ـ بأفلام الجنس لتجلس البنت أمامها وتراها ومن ثم تدعو زوجها للدخول على البنت ويفعل بها الفاحشة.

٦ ـ صديقات للخادمة يزورنها في أيام معينة، فتدخلهن الخادمة إلى غرفتها وتغلق الباب عليها، وفي إحدى الأيام نسيت الخادمة أن تغلق الباب، فجاءت ربة الأسرة، وفتحت الباب على غير قصد منها

فوجدت إن النساء الزائرات اللاتي دخلن عند الخادمة ماهن في الحقيقة إلا رجال وفي وضع مشين.

٧ ـ خادمة استغلت الشباب المراهقين داخل الأسرة، فلما علم الأب بهذا الوضع المخزي، أراد تسفيرها فوقف أبناءه معارضين قائلين: أنت تقضي شهوتك من زوجتك فدعنا نحن أيضاً نقضي شهوتنا!!

٨ ـ خادمة سعت وراء شاب من شباب الأسرة حتى وقع بها وفعل معها الفاحشة، فحملت منه، فأخذت عندئذ تهدد الأسرة بأن تفضحهم بما جرىٰ إن لم يدفعوا لها المال الذي تريده.

* * * *

والقصص كثيرة.. وكثيرة جداً، ولكن قدمنا بعضها لتكون موعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثالثاً: الخطر على أمن الوطن والمواطنين:

من ذلك خطرهم على المخدومين، حيث أن بعضهم من محترفي الجريمة ومن المتسبين إلى عصابة من عصابات الإجرام، وقد يتوقع منهم، وفي أي لحظة بأن يقوموا بأعمال إجرامية منها:-

قتل الأبرياء فضلاً عن نشر المخدرات بين المسلمين حتى يأخذوا من وراء تلك المخدرات الأموال الطائلة، أو قد يكون مدفوعاً لأغراض أخرى من تجسس، أو نشر أفكار منحرفة، أو للتعرف على طبيعة البلد وأهلها لتلمس نقاط الضعف فيهم لإستغلالها، ومن ثم التأثير عليهم.

وقد يكون المستقدم من المستضعفين، وقد أتى لكسب الرزق حقيقة، ولكن لما يرىٰ هذا الخادم بعض التصرفات من مخدوميهم وتفريطهم في أموالهم وأعراضهم مما يغويه هذا بالجريمة، ويطمعه بالغنيمة مع السلامة.. إلى غير ذلك من الأمور.

* * * *

أما آن لنا أن نعقل . . ؟

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ [الحديد-١٦].

ومن واقعنا اليوم تتضح صورة بعض المسلمين وما قصروا فيه من أمور دينهم، وتعديهم لحدود الله، وعدم استماعهم لتحذير العلماء من أخطار الخدم، وفي وجوب الحدّ منهم.

ولكن نقول:

«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق؟؟».

بلى قد آن وحان ذلك اليوم التي تخشع فيه قلوب الناس وتتبع ما أنزل الله من الحق.

فما على ولاة الأمور إلا أن يتقوا الله في محارمهم وأعراضهم التي استهانوا بها، وما أعاروها إهتمامًا، وتخلوا عن الأمانة التي على كاهلهم والتي سيسألوا عنها **«يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم»** [سورة الشعراء آية ٨٨-٨٩] فذلك اليوم هو أشد

على الظهر من حمل الجبال. فاتقوا الله فينا ياولاة الأمور.

والسبب إن بحثنا عنه في تخليهم عن هذه الأمانة: لن يكون إلا الإهمال والتفريط والكسل، والجري وراء ملذات الحياة الدنيا ومتاعها، فهم ماديون بمعنى هذه الكلمة، فلا يهمهم صلاح أو فساد أولادهم، فلا هم لهم سوى جمع المال وكسبه من جميع الطرق التي يمكن أن يجمعوه منها.

ولقد صدق الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين قال: «تعس عبدالدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض» رواه البخاري.(١)

واجب الآباء والأمهات

إن كثيراً من أرباب الأسر لا يشعرون بخطورة هذا الأمر، ولا بفداحة هذا الخطب.. حتى ولو كانوا صالحين في أنفسهم، فما بالك لو كانوا غير ذلك، ممن يدرك أن هذا فساد له ولأهله ولذريته من بعده فيرى بأم عينه كيف يتسلل أولاده الكبار إلى المعصية

(١) ٦/٨١.

أطفاله إلى الميوعة وكيف تنزلق بناته في المزالق، وكيف تختلي زوجته بالأجانب من السائقين والخدم ومع ذلك، يغمض عينيه كأنه لا يرى شيئاً، ولا يعلم شيئاً.

إن حديثنا ليس عن هؤلاء.. لكن حديثنا مع الذين لا يحبون الفساد لأنفسهم ولا لأهلهم.. ولكنهم مكرهون.. أو لا يدرون ما يصنعون ويظنون أن لا مسئولية عليهم فيما يفعل ابنه ولا مسئولية عليه فيما تفعل ابنته..

تالله ليسألن الوالد عن ولده.. والولد عن أبيه.. ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾.

وتسمع بعضهم يقول: إننا نريد أن نغير إن لنا إحساساً أن ما يجري في بيوتنا خطأ وأيما خطأ، ولكننا.. لا نستطيع التغيير.. قد عجزنا ولهؤلاء نقول:

إن صلابة الإيمان، وقوة الوازع الديني في النفس، وصدق العزيمة كافٍ بعد عون الله على

التغيير.

إن استحضار عظمة الله في النفوس، وما أعدّ للطائعين من نعيم، وللعاصين من عذاب إن في استحضار ذلك لأكبر الأثر على التغيير لكنا أهملنا.. وقصرنا.. ثم أعلنا عجزنا.

قال عليه الصلاة والسلام: «ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»[1].

فحري بنا أن ندرك منية ذلك، وعواقبه في الدنيا وعند الله في الآخرة.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

وعلى الأمهات أن يتقين الله في أنفسهن، وفي أزواجهن وأولادهن. فبعض أمهات اليوم لسن جديرات بحمل هذا اللقب، فالأم هي التي تربي [يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة...].[2]

---

(١) صحيح الجامع للألباني.

(٢) سورة التحريم آية (٦).

أمـا بعض النسـاء اليوم فهن إمـا جاهلات أو متجاهلات بما يصلحهن ويصلح أسرهن، فهؤلاء لا تراعي الواحدة منهن ظروف زوجها المادية، فلقد ذكر لي: إن إحداهن طلبت من زوجها خادمة من أجل أن فلانة، وفلانة وفلانة.. لديهن خادمات وهي ليس لديها خادمة.. وبعد الإلحاح على الزوج أصبح لديها خادمتـان، مع العلم أنها تسكن في شقـة صغـيرة، والوضع المادي لزوجها لا يسمح بذلك، وهذا واقع، وكـل ذلـك وراءه التقليد والمجـاراة، والإحسـاس بالنقص تجاه الآخرين، حتى إن إحداهن تستحيي أن تذهب إلى الحفـلات والمنـاسبـات المختلفة التي تُدعىٰ لها، ولما سئلت عن السبب فأجـابت: بأنها تخجـل أن تذهب لتلك المنـاسبـات، وليس لديهـا خادمة.

فهذه هي صورة بعض أمهات اليوم.. وبعض المربيات. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

* إستيقظي يا أختي فالأمر شديد الخطورة!!

وذلك عندما تذهب الأم وتترك أطفالها لتربيهم الخادمة وتعطيها المسؤولية الكاملة في التصرف، وتتخلى الأم عنها، فيشب الطفل المسلم على أخلاق اليهود والنصارىٰ والبوذيين والهندوسيين وعاداتهم منحرف الأخلاق، متميع العقيدة، مهزوز الشخصية، فيشب الطفل في أقل أحواله ـ إذا تخلت الأم عنه ـ مسلماً منحرف العقيدة.. والله المستعان.

* أسباب ظهور ظاهرة الخدم:

أما الأسباب التي دعت إلى ظهور هذه الظاهرة فكثيرة ذكرتها خلال حديثي السابق، منها:ـ

إهمال ولاة الأمور المسؤولية التي علىٰ عاتقهم والكسل، والمجاراة وحب التقليد، والانغماس في الترف المفرط.. إلىٰ غير ذلك.

أريـد الحل . . فأين هو؟

والحل الرئيس للحد من هذه المشكلة هو:

الـرجـوع إلى الكتـاب والسنة المطهرة في تحمل المسؤولية وإلى كلام العلماء المتفق مع منهج الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . ».

فلابد من تغيير هذا الوضع السيء الذي نحن عليه، ولـن يتـم هذا إلا بإصـلاح أنفسنـا أولاً، وتغييرهـا، ومن ثم إصـلاح الأهـل والأقـارب، والنصيحـة لهم وتحـذيرهم من عواقب هذا الأمـر، والتضافر والتعاون على الحدّ من هذه الظاهرة.

فعندئذٍ نحد من هذه المشكلة ويرجع المسلمون إلى ما كانوا عليه من عزة وإباء ومهابة فهل سنرجع؟

كيف أدعو خادماً؟

بما أن بعضنا قد أبتلي بالخدم خاصة الكفرة منهم لجهلنا بمعرفة حكم استقدامهم، فعندئذ لعل الله

يكفر عنا هذا الذنب بدعوتهم إلى الإسلام. وذلك لهدفين هما:ـ

الهدف الأول:ـ

هو دخولهم في الإسلام، لقوله تعالى: **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾** [فصلت: ٣٣].

ولقوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً..»** رواه مسلم.

الهدف الثاني:

نجاتنا من الإثم، لقوله تعالى: **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين﴾** [١١٤: هود].

ولقوله تعالى: **«.. ومن يؤمن بالله، ويعمل صالحاً يُكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من**

تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ [التغابن: ٩].

الأساليب المستعملة في الدعوة:ـ

الدعوة لها أسلوبان رئيسان هما:ـ

أولاً: القدوة الحسنة والمعاملة الطيبة:

أن نكون ـ وهذه ضرورة من ضرورات الإصلاح في المجتمع ـ قدوة عملية لمن لا يعرف الإسلام، فإذا رآهم وأحبهم تأسى بهم، وتلقى دينه عنهم، والإنسان مفطور على حب الحق، وطلب الكمال، فإذا وجد القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة، تهيأت له أسباب الهداية، فاتبع واهتدى!!!

وذلك كما قال الله عز وجل عن نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ..»** [٢١: الأحزاب].

ولذلك استطاع في فترة زمنية يسيرة هداية بشرية

بأكملها.

والـواقع الذي نعيشه يشهد لذلك أيضاً، فقد سمعنا أن فتاة أمريكية جاءت لتسلِّم على شاب مسلم فأبى أن يسلم عليها فاستغربت من ذلك، فقال لها: إن الإسلام يحرم مصافحة المرأة الأجنبية، فقالت له: ألهـذه الدرجة؟ قال: بل أكثر من ذلك: فإنه يمنع حتى من النظرة إلى غير المحارم.

فما كان من تلك المرأة إلا أن سارعت وأعلنت إسـلامها وقصص إسلام الكفرة كثيرة جداً، وجميع تلك القصص تتلخص في مدى تطبيق الفرد المسلم وتمسكه بهويته الإسلامية ودعوة الناس إليها بأفعاله، فلا يملك النـاس حينئـذ إلا إعـلان إسلامهم لأنه الدين الوحيد المتفق مع الفطرة، ومع حاجات النفس البشرية، ولأنه قبل ذلك هو الحق الذي لا يستطيع أحد بعد معرفته أن ينكره إلا عدو مريد.

* * * *

ثانياً: التبليغ:

وموضوع التبليغ شعارها الرفق والحكمة وكما قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..﴾ [النحل: ١٢٥].

فأوضح سبحانه الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية ويسلكها، يبدأ أولاً بالحكمة والمراد بها:ـ الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق والداحضة للباطل.

فعلى الداعية إلى الله عز وجل أن يدعوا بالحكمة ويبدأ بها ويعني بها، فإذا كان المدعو عنده بعض الجفا والإعتراض، دعوته بالموعظة الحسنة بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب، فإن كان عنده شبهة جادلته بالتي هي أحسن، ولا تغلظ عليه، بل تصبر عليه ولا تعجل ولا تعنف بل تجتهد في كشف الشبهة وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن.. لأن هذا أقرب إلى الانتفاع بالحق وقبوله.

وقد أمر الله موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون أن يقولا له قولاً ليناً وهو أطغىٰ الطغاة، وقد قال الله جل وعلا في شأن نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك﴾** [آل عمران: ١٥٩]. ولكن لو أظهر المدعو العناد والظلم فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال سبحانه: **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم﴾** [التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾** [العنكبوت: ٤٦][١].

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم عن الرفق لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: «يا عائشة: إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف. وما لا يعطي على ما سواه»[٢]. وقال صلى الله

(١) الدعوة إلى الله عز وجل. عبد العزيز بن باز.

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٣).

عليه وآلـه وسلم: «إن الـرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»(١).

ولم يكن هذا الأمر شعاراً من الشعارات بل كان واقعاً في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي كان خلقه القرآن فقد روى البخاري في صحيحه عن مالــك بن الحـويرث: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكـان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم»(٢).

ونجد أن الدعاة اقتبسوا هذا النور النبوي وطبقوه وقد رووا لنا قصصاً رائعة دارت معهم فها هي :-

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤)
(٢) فتح الباري (٦٢٨)

١ - يقول أحدهم: «قالت لي ابنتي الطالبة في جامعة الإسكندرية أنها كانت في فناء الكلية مع زميلاتها المحجبات، وشاهدن زميلة لهن غير محجبة تسقط على الأرض، فأسرعن إليها وقمن بإسعافها، فلما أفاقت ووجدت كل من حولها من المحجبات ذهلت وقالت لهن: والله أنا ما كنت أفكر ولا أتصور أن هذا هو شعوركم!!!

فهذا نتيجة الرفق بالآخرين!!

٢ - في إحدى كليات جامعة الإسكندرية قام شاب أحمق متهور بمعاكسة فتاة مسلمة (متنقبة) فنزع نقابها عنوة متحدياً بذلك شعور الأخوات، فاستغاثت الأخت بأخواتها وإخوانها، وكاد الشباب يفتكون به لولا أن أحدهم كان داعياً وحكيماً وأدرك ما سيكون من وراء هذا الحادث فتوجهوا إلى عميد الكلية وأطلعوه على ما حدث وحملوه المسؤولية.

وبعد أن عرض الطالب المعتدي على مجلس التأديب صدر قرار من مدير الجامعة بفصله من

الجامعة.

٣ ـ كيف ولماذا أسلم (جارودي) :ـ

يقول روجيه جارودي: إنه كان من مجموعة الجنود الفرنسيين الذين كانوا يحاربون المسلمين الجزائريين في ثورة الجزائر عام ١٩٦٠م، وقد تم القبض عليه بواسطة مجموعة من المجاهدين المسلمين، وكلف قائد هذه المجموعة أحد المجاهدين بأن يتولىٰ (إعدامي) في الجبل، وحين إنفردت بهذا المجاهد المسلم سألني هل أنت معك سلاح؟ فقلت له: لا ليس معي سلاح. فقال هذا المجاهد: وكيف أقتل رجلاً ليس معه سلاح. وأطلق سراحي!!

قال جارودي: وبقيت هذه القصة تتفاعل في ضميري سنين كثيرة، أتذكرها دائماً، حتى قمت بدراسة الإسلام فأيقنت أن هذا المجاهد كان ينطلق في تصرفه معي من واقع العقيدة والأخلاق الإسلامية.

٤ ـ وحدث مع المسلم الألماني (يحيى شوفسكه)

أنه بعد زواجه ركب مع زوجته سيارة عامة. . وكانا جالسين، فرأيا إفريقياً أسود هرما، فقام يحيى وقدم مكانه للرجل. فإذا بالرجل يبكي. ولما كان يحيى لا يعرف الإنجليزية فقد سأل جيرانه عما يبكي الرجل، قالوا له: إنه قادم من جنوب إفريقيا، ولأول مرة في حياته يرىٰ رجلاً أبيض يقوم له ويعطيه مكانه، يحكى يحيى القصة ويقول: هذا هو الإسلام[1].

وهذا يذكرنا بموقف المعلم الأول للبشرية صلى الله عليه وسلم، حينما جاء أعرابي وبال في طائفة المسجد فنظر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إليه، وقد أرادوا أن يهموا به، لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهاهم عن زجر الرجل، فذهب إلى الرجل وقال له بلطف ورفق ولين: «إن هذه المساجد لا تصلح لمثل هذه الأمور إلا لذكر الله والصلاة. . » أو كما قال صلى الله عليه وسلم[2].

(١) الطريق إلى القلوب. عباس السيسي.

(٢) الحديث مروي في البخاري.

فكـان لين الـرسـول ورفقتـه بالأعرابي سبباً في دخوله إلى الإسلام وفي كسبه عضواً جديداً فيه.

٢ - إختيار واستغلال الوقت المناسب(١):-

فلا يختار وقت غضب أو تعب الخادمة أو المدعو عموماً، بل يختار وقت هدوءه وانبساطه ولا يختار وقت إنشغاله بل يختار وقت فراغه، وعليه إن يختار وقتاً يثير فيه الموضوع الذي يريد إبلاغه إياه، أو موضوعاً قريباً منه يجعله مدخلاً لدعوته، وهذا ما فعله يوسف عليه السلام عندما جاء له صاحبا السجن بعد أن وثقوا به وبعلمه فأرادا منه أن يفسر حلمهما فانتهز الفرصة، للإنكـار بإسلوب ذكي، لأن صاحب المنكر هنا هو صاحب الحاجة، وهو الذي يريد أن يستمع برضاه واختياره فلذلـك يكون استعداده للقبول أكثر مما لو أجبر على الإستماع دون رغبة منه، ومن فقه يوسف عليه السـلام بالإنكار أنه عرض عليهما ما يريد من

(١) فقه الدعوة في انكار المنكر. عبد الحميد البلالي. ص ١١٤.

الحق وأنكر ما يريد من الباطل قبل أن يعطيهما ما يريدان، لأنه يعلم أن دافع الرغبة في معرفة تأويل الأحلام وخوفهما مما ينتظرهما من الغيب المجهول يجعلهما يستمعان لكل شيء من أجل معرفة ماذا سيحدث لهما.

فاختيار الوقت المناسب والظروف المناسبة من أكبر الأسباب لقبول النصيحة والدعوة إلى الله، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وفترة وإدباراً، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها».

٣ ـ ترك الإستفزاز وشتم الأشخاص والأديان وإستخدام الحجة:ـ

فلا يقال مثلاً لخادم نصراني: بأن دين النصارىٰ دين باطل، أو إنك ضال مضل.. فهذا خطأ، بل يقال لهم: **﴿وإنا أو إياكم لعلىٰ هدىً أو في ضلال مبين﴾** [سبأ: ٢٤].

وقد حذرنا الله ونهانا عن سب أو شتم الأديان فقال تعالى: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم..**﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال سيد رحمه الله: «وقد وجه ـ الله ـ المؤمنين إلى أن يكون هذا الإعراض ـ أي عن المشركين ـ في أدب، وفي وقار، وفي ترفع، يليق بالمؤمنين.. لقد أمروا ألا يسبوا آلهة المشركين مخافة أن يحمل هذا أولئك المشركين على سب الله سبحانه وهم لا يعلمون جلال قدره وعظيم مقامه فيكون سب المؤمنين لآلهتهم المهينة الحقيرة ذريعة لسب الله الجليل العظيم.

لأن الطبيعة التي خلق الله الناس عليها، أن كل من عمل عملاً فإنه يستحسنه، ويدافع عنه، فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها. وإن كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها، وإن كان على الهدى رآه حسنا، وإن كان على الضلال رآه حسناً كذلك! فهذه طبيعة في الإنسان.. وهؤلاء يدعون من دون الله شركاء.. مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو

الخـالق الـرازق. . ولكن إذا سب المسلمون آلهتهم اندفع هؤلاء عدواناً بما زين لهم الشيطان ليدافعوا عن تلك الآلهه فسبوا الله تعالى.

وتقاليدهم.

فإن سب آلهتهم لا يؤدي بهم إلى الهـدى ولا يزيدهم إلا عناداً.

خاتمـــة الكــلام

وأختم كلامي هذا بنصيحة وجهها لنا شيخنا الفـاضل: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ وفقه الله وأطال في عمره وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين: ـ

فقد قال: (أما الخادمات، فلا يقل خطرهن عن أولئك ـ أي السائقين ـ بسبب إختلاطهن بالرجال، وعدم إلتزامهن بالحجاب والتستر، وخلوتهن بالرجال داخل البيوت، وربما تكون شابة وجميلة، وقد تكون غير عفيفة لما اعتادته في بلادها من الحرية المطلقة، والسفـور، ودخول أماكن العهر والدعارة، وما ألفته

من عشق الصور ومشاهدة الأفلام الخليعة، يضاف إلى ذلك ما يتصف به بعضهن من الأفكار المنحرفة، والمذاهب الضالة والأزياء المخالفة لتعاليم الإسلام.

ومن المعلوم أن هذه الجزيرة لا يجوز أن يقيم بها غير المسلمين، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بإخراج الكفار من الجزيرة فلا يدخلوها إلا لحاجة عارضة، فلا يجوز استقدامهم، ولا السماح لهم بذلك.

فالحاصل أن الجزيرة العربية لا يجوز أن يقر فيها المشركون إلا بصفة مؤقتة لحاجة يراها ولي الأمر كالـبُرُدْ: وهم الرسل الذين يقدمون من دول كافرة لمهمات، وكباعة الميرة، ونحوها مما يجلب إلى بلاد المسلمين، ما يحتاجون إليه، ويقيم أياماً لذلك ثم يرجع إلى بلاده حسب التعليمات التي يضعها ولي الأمر.

فوجود غير المسلمين فيه خطر عظيم على المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم ومحارمهم، وقد

يفضي الأمر إلىٰ موالاة الكفار ومحبتهم والتزيّ بزيهم، ومن اضطر إلىٰ خادم أو سائق أو خادمة، فالواجب أن يتحرىٰ الأفضل، فالأفضل من المسلمين لا من الكفار، وأن يجتهد في اختيار من كان أقرب إلى الخير وأبعد عن مظاهر الفسق والفساد، ولأن بعض المسلمين يدّعي الإسلام وهو غير ملتزم بأحكامه فيحصل به ضرر عظيم، وفساد كبير.

فنسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، ويحفظ عليهم دينهم وأخلاقهم وأن يغنيهم بما أحلّ لهم عن ما حرم عليهم، وأن يوفق ولاة الأمر لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، والقضاء على أسباب الشر والفساد، إنه جواد كريم.

وصلىٰ الله على نبينا محمد وآله وصحبه(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) نصيحة وفتاوى بشأن الخدم والسائقين. ابن باز.

منشورات دار الراية

١ - الحجة في بيان المحجة ٢/١
تأليف/ الأصفهاني، تحقيق/ د. ربيع بن هادي — ٥٥ ريال
٢ - الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢/١
تأليف/ الامام العكبري، تحقيق/ رضا بن نعسان — ٥٠ ريال
٣ - النكت على كتاب ابن الصلاح ٢/١
تأليف/ الامام بن حجر، تحقيق/ د. ربيع بن هادي — ٥٠ ريال
٤ - بحر الدم فيمن تكلم فيه الامام أحمد
تأليف/ الامام ابن عبدالهادي، تحقيق/ د. وصي الله بن محمد — ٣٠ ريال
٥ - السـنة
تأليف/ الامام الخلال، تحقيق/ د. عطية الزهراني — ٣٥ ريال
٦ - فهارس الترغيب والترهيب
اعداد/ عدنان عرعور — ٢٥ ريال
٧ - تمام المنة في التعليق على فقه السنة
تأليف/ الالباني — ٢٥ ريال
٨ - الرواة من الاخوة والاخوات
تأليف/ ابن المديني وأبو داود، تحقيق/ د. باسم الجوبراة — ١٦ ريال
٩ - علوم الاسـناد
تأليف/ د. نجم خلف — ١٥ ريال
١٠- معجم الجرح والتعديل
تأليف/ د. نجم خلف — ١٥ ريال
١١- المجرد في أسماء رجال ابن ماجه
تأليف/ الذهبي، تحقيق/ د. باسم الجوابرة — ١٧ ريال مع الفهرس
١٢- أسس اختيار الزوجين
تأليف/ مصطفى الصياصنة — ٧ ريال
١٣- الغريب وديوان شعره
تأليف/ مصطفى الصياصنة — ٥ ريال

١٤- *التعالـم*
تأليف / بكر أبو زيد — ٨ ريال

١٥- *تغريب الألقاب العلمية*
تأليف / بكر أبو زيد — ٣ ريال

١٦- *حلية طالب العلم*
تأليف / بكر أبو زيد — ٥ ريال

١٧- *الرد الأثري المفيد على شرح جوهرة التوحيد*
تأليف / عمر محمود أبو عمر — ١٠ ريال

١٨- *ذم البغـي*
تأليف / الامام ابن أبي الدنيا، تحقيق / د. نجم خلف — ٨ ريال

١٩- *ذم المسكـر*
تأليف / الامام ابن أبي الدنيا، تحقيق / د. نجم خلف — ٧ ريال

٢٠- *العقل وفضلـه*
تأليف / الامام ابن أبي الدنيا، تحقيق / د. نجم خلف — ٧ ريال

٢١- *فهارس صحيح ابن خزيمه*
اعداد / أحمد الكويتي — ١٠ ريال

٢٢- *تعطير الانـام*
تأليف / النابلسي، تحقيق / معروف زريق — ٣٢ ريال

٢٣- *المحقق من علم الأصـول*
تأليف / الامام أبي شامة المقدسي، تحقيق / أحمد الكويتي — ١٤ ريال

٢٤- *الاربعين النووية*
تأليف / الامام النووي ، تحقيق / عدنان محمد عرعور — ١ ريال

٢٥- *كنت نصـرانيا*
تأليف / واصف الراعي — ٨ ريال

٢٦- *متن العقيدة الطحاوية بالانجليزية*
اعداد / قسـم الترجمة — ٤ ريال

٢٧- *القول المعتبر في رواية كل أحد أفقه من عمر*
اعداد / نزار عرعور — ٣ ريال

٢٨- معرفة النساك في معرفة السواك
تأليف / القاري، تحقيق / نظر الفريابي ٨ ريال
٢٩- براءة أهل السنة
تأليف / بكر أبو زيد ٣ ريال
٣٠- نداء الفطرة
تأليف / سليمان العودة ٢ ريال
٣١- ثلاث مسائل فقهية في الصلاة
تأليف / نزار عرعور نافذ
٣٢- وقفات مع جماعة التبليغ
تأليف / نزار الجربوع ٤ ريال
٣٣- ماذا تخفي لنا الموضة
تأليف / نجمة السويل ٢ ريال
٣٤- الباعث على انكار البدع والحوادث
تأليف / أبي شامة المقدسي، تحقيق / مشهور حسن ١٧ ريال
٣٥- مسند الامام أحمد ١ - ٦ طبعة مرقمة الاحاديث ١٧٥ ريال
٣٦- بيع العينة
تأليف / محمد عبدالعزيز الخضيري ١٠ ريال
٣٧- أدلة الجمع بين الصلاتين
تأليف / مقبل بن هادي ٥ ريال
٣٨- القول المبين
تأليف / سليم الهلالي ٤ ريال
٣٩- دره الارتياب
تأليف / سليم الهلالي ٤ ريال
٤٠- مأساة نورة
تأليف / هية عبدالرحمن بوسبيت ١٠ ريال
٤١- تسمية المولود
تأليف / د. بكر أبو زيد ٤ ريال

٤٢- *التحذير من مختصرات الصابوني*
تأليف / د. بكر أبو زيد ٣ ريال
٤٣- *نصيحة ذهبية إلى الجماعات الإسلامية*
تأليف / ابن تيمية، تحقيق / مشهور حسن ٥ ريال
٤٤- *التقريب لعلوم ابن القيم*
تأليف / د. بكر أبو زيد ٢٥ ريال
٤٥- *الآحاد والمثاني ١ × ٦*
تأليف / ابن أبي عاصم، تحقيق / د. باسم الجوابرة ١٣٠ ريال
٤٦- *اعترافات متأخرة - الجزء الأول -*
تأليف / محمد بن عبدالعزيز المسند ٣ ريال
٤٧- *التمثيل - حقيقته وتاريخه وحكمه*
تأليف / د. بكر أبو زيد ٤ ريال
٤٨- *الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث*
تأليف / الغزي، قرأة / د. بكر أبو زيد ٧ ريال
٤٩- *معرفة النسخ والصحف الحديثية*
تأليف / د. بكر أبو زيد ١٥ ريال
٥٠- *الرد على من ابى الحق وأدعى أن الجهر بالبسملة من سنة سيد الخلق*
تأليف / الزبيدي، تحقيق / أحمد الكويتي ٥ ريال
٥١- *الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة*
تأليف / ابن قتيبة، تحقيق / عمر بن محمود ابو عمر ٥ ريال
٥٢- *فهرس الأحاديث والآثار للمحلى*
تأليف / حسن محمود أبو هنية و خالد عيسى عبدالعال ١٠ ريال
٥٣- *فهارس كتاب جامع البيان والتاريخ والمنتخب للامام الطبري*
تأليف / حسن محمود أبو هنية ١٢ريال
٥٤- *العمدة في الفقه الحنبلي*
تأليف / المقدسي، تحقيق / مكتب مؤسسة الرسالة ١٥ ريال